﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التّوبة: 120]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا نهى عن الخُلْفِ؛ أكّد النَّهي عنهُ بوجوبِ متابعةِ النَّبيِّ ﷺ

لمّا أمرَ الله تعالى بالتَّقوى والكينونةِ مع الصّادقين، و"موافقةِ الرَّسول ﷺ في جميعِ غزواتِه؛ أَتْبَعَهُ بتأكيدِ ذلك، فنهى في هذهِ الآيةِ عن التَّخلُّف عنهُ، فقالَ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَتَخَلَّفُواْ﴾: (خلف) أصلٌ يدلُّ على مجيءِ شيءٍ بعد شيءٍ يقومُ مقامَهُ[2]، وخَلَفَ ضدُّ تقدَّمَ وسلف، والمتأخَّرُ لقصورِ منزلتِه يقالُ له: خَلْفٌ، ولهذا قيل: الخلفُ الرَّديءُ، يقال: تَخَلَّفَ فلانٌ فلانًا؛ إذا تأخَّر عنهُ[3].

2) ﴿يَرْغَبُواْ﴾: أصلُ الرَّغْبَةِ: السَّعةُ في الشَّيء، يقال: رَغُبَ الشَّيءُ: اتَّسعَ، والرَّغْبَةُ: السَّعةُ في الإرادةِ قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: 90]، فإذا قيل: رَغِبَ فيه وإليه، يقتضي الحرصَ عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التّوبة: 59]، وإذا قيل: رَغِبَ عنهُ؛ اقتضى صرفَ الرَّغبةِ عنه والزُّهدَ فيه، نحو قوله

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/169، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/522.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلف).
(3) الرّاغب، المفردات: (خلف).

تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: 130][1]، ورَغِبْتَ عن الشَّيءِ؛ إذا لم تُرِدْهُ، وزَهِدتَ فيهِ[2].

3) ﴿ظَمَأٌ﴾: (ظمأ) أَصْلٌ يَدُلُّ على ذُبولٍ وقِلَّةِ ماءٍ، الظَّمَأُ، وهوَ الْعَطَشُ[3]، والظَّما، بلا هَمزٍ: ذُبولُ الشَّفَةِ مِنَ العَطَشِ[4]، والظِّمءُ: ما بينَ الشَّربتينِ، والظَّمَأُ: العطشُ الَّذي يعرضُ من ذلك، قال تعالى: ﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: 119][5].

4) ﴿نَصَبٌ﴾: (نصب) أَصْلٌ يَدُلُّ على إقامَةِ شَيْءٍ وإهْدافٍ في اسْتِواءٍ، ومِنَ الْبابِ النَّصَبُ: الْعَناءُ، ومَعْناهُ: أَنَّ الْإِنْسانَ لا يَزالُ مُنْتَصِبًا حَتَّى يُعْيِيَ[6]، وهو: الإعْياءُ مِنَ العَناءِ، والفعلُ نَصِبَ الرَّجلُ، بِالْكَسْرِ، نَصَبًا: أَعْيا وتَعِبَ[7].

5) ﴿مَخْمَصَةٌ﴾: (خمص) أَصْلٌ يَدُلُّ على الضُّمرِ والتَّطامُنِ، والْمَخْمَصَةُ: المَجاعَةُ؛ لِأَنَّ الْجائِعَ ضامِرُ الْبَطْنِ[8]، وقوله تعالى: ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: 3]، أي: مجاعةٍ تورثُ خَمصَ البطنِ، أي: ضُمورَهُ، يقال: رجلٌ خامصٌ، أي: ضامرٌ، وأَخْمَصُ القدم: باطنُها، وذلك لضُمورِها[9]، والمَخْمَصَةُ: الْجوعُ، وهوَ خَلاءُ الْبَطْنِ مِنَ الطَّعامِ جوْعًا، والمَخْمَصَةُ: المَجاعَةُ، وهي مصدرٌ مثل المَغْضَبَةِ والمَعْتَبَةِ، وقد خَمَصَهُ الجوعُ خَمصًا ومَخْمَصةً[10].

6) ﴿يَطَـُٔونَ﴾: (وطأ) كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَمهيدِ شَيْءٍ وَتَسْهيلِهِ، ووَطِئْتُهُ بِرِجْلِي أَطَؤُهُ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ من وطأَ البلادَ برجلِهِ، ويقالُ: وطِئْتُ البلادَ أطؤها وطاءً[11].

7) ﴿يَغِيظُ﴾: (غيظ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى كَرْبٍ يَلْحَقُ الْإِنْسانَ مِنْ غَيْرِهِ[12]، والغَيْظُ: أشدُّ الغضبِ، وهو الحرارةُ الَّتي يجدُها الإنسانُ من فورانِ دمِ قلبِهِ، قال: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾

(1) الرّاغب، المفردات: (رغب).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (رغب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ظمأ).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (ظما).
(5) الرّاغب، المفردات: (ظمأ).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نصب).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (نصب).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خمص).
(9) الرّاغب، المفردات: (خمص).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (خمص).
(11) السّمين، العمدة: (وطأ).
(12) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غيظ).

[آل عمران: 119]، وقال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح: 29]، وقد دعا الله النّاسَ إلى إمساكِ النَّفسِ عند اعتراءِ الغيظِ، قال: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران: 134][1].

8. ﴿نَيۡلًا﴾: النَّيْلُ: ما يناله الإنسانُ بيدِه، نِلْتُهُ أَنالُهُ نَيْلًا، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ [آل عمران: 92]، والنَّوْلُ: التَّناولُ[2]، وقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ [الحج: 37] أي: لن يصلَ إليهِ ما يعدُ لكم ثوابَهُ من التَّقوى، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا﴾، أي: يُصيبون منهم مالًا أو عَرَضًا[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حُرْمَةُ التَّخلُّفِ عن رسولِ الله ﷺ

لمّا كانَ الجهادُ في سبيلِ الله تعالى من أعلى شُعَبِ الإيمانِ، والتَّخلُّفُ عنه عظيمُ الخطرِ؛ نهى الله تعالى نهيًا بليغًا عن ذلك، فما يحلُّ "لأهل المدينةِ، ومَن يجاورونَهم من سكّان البوادي، أن يتخلَّفوا عن الغزوِ مع رسولِ الله ﷺ، ولا أن يَضِنّوا بأنفسِهم عمّا بَذَلَ الرَّسولُ فيه نفسَه؛ إذ إنَّهم لا يصيبُهم في سبيلِ الله ظمأٌ أو تعبٌ أو جوعٌ، ولا ينزلون مكانًا يثيرُ وجودُهم فيهِ غيظَ الكفّارِ، ولا ينالون من عدوٍّ غَرَضًا كالهزيمةِ أو الغنيمةِ إلّا حُسِب لهم بذلك عملٌ طيِّبٌ يُجزون عليه أحسنَ الجزاء، وإنَّ الله لا يضيعُ أجرَ الَّذين أحسنوا في أعمالهِم"[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الفصلِ في الآية:

لا شُبْهَةَ تأوُّلٍ لتسويغِ عدمِ الخروجِ إلى الغزوِ مع النَّبيِّ ﷺ

قال عزَّ ذِكرُهُ: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾

(1) الرّاغب، المفردات: (غيظ).
(2) الرّاغب، المفردات: (نيل).
(3) السّمين، العمدة: (نول).
(4) مجموعة من المؤلّفين، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 282.

بعد أن وقعَ من بعض الأصحابِ التَّخلُّفُ عن مصاحبتهِ ﷺ وما لَحِقَهُ من التَّوبةِ عليهم، وخاطبَهم آمرًا إيّاهم بالتَّقوى، وأن يكونوا بصحبةِ الصّادقين، مستأنِفًا للتَّصريحِ بحرُمَةِ التَّخلُّف عن النَّبيِّ ﷺ، فالآيةُ "استئنافٌ ابتدائيٌّ لإيجابِ الغزوِ على أهلِ المدينةِ، ومَن حولهم من أهلِ باديتِها الحافِّين بالمدينةِ؛ إذا خرج النَّبيُّ ﷺ للغزوِ، فهذا وجوبٌ عينيٌّ على هؤلاءِ شرَّفهم اللّه بأن جعلَهم جُنْدَ النَّبيِّ ﷺ وحرسَ ذاتِه"[1]، والغرضُ من التَّصريحِ بهذا الاستئنافِ ألّا تبقى شُبْهَةٌ يُمكِنُ تأويلُها لتسويغِ عدمِ الخروجِ إلى الغزوِ مع النَّبيِّ ﷺ.

بلاغةُ النَّهي بأسلوبِ الخبرِ:

النَّهيُ بالنَّفي أبلغُ في الزَّجرِ عن المنهيِّ عنهُ

قوله جلَّ شأنُه: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ إنشاءٌ بصورةِ الخبرِ المنفيِّ، وذهبَ أئمَّةُ التَّفسيرِ إلى أنَّ المرادَ بهِ والغرضَ منه النَّهيُ، فحقيقةُ الخبرِ هنا "نهيٌ بليغٌ، مع تقبيحٍ لأمرِهم وتوبيخٍ لهم عليه، وتهييجٍ لمتابعتهِ بأَنَفَةٍ وحَمِيَّةٍ"[2]. وإنَّما آثرَ النَّظمُ الكريمُ أن يتَّخذَ من الإخبارِ المنفيِّ سبيلًا إلى النَّهي في الآيةِ، ولم يقلْ: (لا يتخلَّفنَّ أهلُ المدينة..) بصيغة النَّهي الإنشائيَّةِ؛ لأنَّه أبلغُ من النَّهي الصَّريحِ؛ لأنَّه يدلُّ على أنَّ هذا الفعلَ لا يصحُّ من الأصلِ، فهو منفيُّ الوقوعِ[3]، والغرضُ من ذلك المبالغةُ في النَّهي، فهذا الفعلُ ممّا لا يُتصوَّرُ أن يفعلَهُ المذكورون.

سرُّ نفي فعلِ الكونِ:

كينونةُ أهلِ المدينةِ في اتِّباعِ رسولِ اللهِ وعدمِ التَّخلُّفِ عنهُ

وقوله جلَّ شأنه: ﴿مَا كَانَ﴾ نفيٌ للشَّأن والكون، "أي: ما كانَ من شأنِ أهلِ المدينةِ من مهاجرينَ وأنصارٍ آوَوا، ونصروا، وهم أهلُ النَّجدة والإيواء، ومَن حولَهُم من الأعرابِ الَّذين أُشربوا الإيمانَ أن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/55.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/522.
(3) الشّهاب، عناية القاضي: 4/373.

يتخلَّفوا عن رسولِ الله ﷺ ويؤثروا الدَّعَةَ والرّاحةَ، ويتركوهُ وحدَهُ يكابِدُ المشاقَّ، ويتحمَّلُ المتاعبَ في سبيلِ عزِّهم ورفعِ دينِهم، وهم يرغبونَ في الدَّعَة، وطيبِ العيش الرَّغيدِ"[1].

نكتةُ التَّصريحِ بالأهلِ:

أظهرَ لفظَ الأهلِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾، ولم يستعملِ المجازَ بأن يقولَ: (وما كان للمدينة وما حولها)، كما قال: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: 163]، وقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]، أي: أهلَها، فعبَّر بالحقيقةِ دونَ المجازِ لِما في التَّصريحِ بهم من التَّشريفِ، والغرضُ منه الثَّناءُ عليهم لذاتِهم، وليس المقصودُ من الثَّناءِ المدينةَ، ولا ما جاورَها من الأماكنِ.

التَّصريحُ أبلغُ في سياقِ الثَّناءِ والتَّشريفِ

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بقوله عزَّ ذِكرُه: ﴿وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ للدَّلالةِ على المؤمنين السّاكنين في جميعِ نواحي المدينةِ الشَّريفة[2]، وفي ذلك إشراكٌ لهم بالثَّناءِ الذي ذُكِر لأهلِ المدينةِ؛ إذ إنَّهم شاركوا في غزوةِ تبوكَ[3]، والأعرابُ الَّذين كانوا حولَ المدينةِ يتناول جميعَ من كان حولَ المدينةِ من سكّان البوادي ممَّن أسلمَ، فإنَّ (مَن) تدلُّ على العموم[4]، وشبهُ الجملة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ في موضعِ الحال، و﴿مِّنَ﴾ بيانيَّةٌ، فهو قيدٌ لبيان المرادِ بقوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهُم﴾، فيتسلَّطُ النَّفيُ في قوله: ﴿مَا كَانَ﴾ على الذين هم حولَ المدينةِ في حالِ كونِهم من الأعرابِ، فهو تصريحٌ يبيِّنُ أنَّ المرادَ بهم سكّانُ البوادي حولَ المدينةِ، تقييدًا لعمومِ الظَّرفِ (حَوْلَ)، ويُلاحظُ أنَّهُ

أشركَ تعالى السّاكنينَ في جميعِ نواحي المدينةِ الشَّريفةِ بالثَّناءِ الَّذي ذُكِر لأهلِ المدينةِ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3478.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/43.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/55.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/43، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/169.

لم يقل: (ومَن حولها)، فالمقصودُ من الحديثِ تشريفُهم، وتوجيهُ النَّهي إلى شُخوصِهم.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمصدرِ المؤوَّلِ: ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ﴾:

جاء المُسنَدُ إليه في قوله تعالى: ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ مصدرًا مؤوَّلًا، هو قوله: ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ﴾ فهو اسمُ ﴿كَانَ﴾ المؤخَّرُ، والتَّقديرُ: ما كان التَّخلُّفُ عن رسولِ الله جائزًا لأهلِ المدينةِ، ومَن حولَهم، ولا لائقًا بهم[1]، وما كان من شأنِهم مهاجرين وأنصارًا[2]، فالتَّعبيرُ بالمصدرِ المؤوَّلِ خصَّصَ التَّعبيرَ في حدثِ التَّخلُّف فحسبُ، دون كيفيّاتِه، ومُلابساتِه.

مقصودُ الكلامِ حدثُ التَّخلُّفِ، وعدمُ مناسبتِهِ لأهلِ المدينةِ

سرُّ إيثارِ الرَّسولِ على النَّبيِّ ﷺ:

في قوله عزَّ ذِكرُه: ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ عبَّر بالرِّسالةِ دونَ النُّبوَّةِ تذكيرًا لهم بأنَّهُ يحمل رسالةَ تعاليمَ من الله تعالى وأنَّ خروجَهُ للغزوِ إنَّما كان تَبَعًا لهذه الرِّسالة، فالتَّعبيرُ بالرَّسول يؤكِّدُ وجوبَ الخروجِ معَهُ.

التَّعاليمُ مَظنَّةُ الاتِّباعِ، والالتزامِ

وجهُ إضافةِ الرَّسولِ إلى لفظِ الجلالةِ:

إنَّ التَّعبيرَ بلفظِ الرَّسولِ يُتيحُ إضافتَهُ إلى لفظِ الجلالةِ، وهذهِ الإضافةُ تزيدُ تأكيدَ وجوبِ اتِّباعِهِ والخروجِ معهُ، وتعظيمَ شأنِ طاعتِهِ لكَوْنِهِ مُرْسَلًا من الله تعالى فضلًا عمّا يحملُهُ التَّركيبُ من تشريفٍ لهُ ﷺ.

في الإضافةِ تعظيمٌ للرَّسولِ ولشأنِ طاعتِهِ

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾:

قوله عزَّ ذِكرُهُ: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾، والتَّقديرُ: ولا الرَّغبةُ بأنفسِهم عن نفسِهِ[3]، فكما أنَّ التَّخلُّفَ ليس جائزًا لهم، فكذلك تفضيلُهم

لا يُقَدِّمَنَّ أحدٌ نفسَهُ على نفسِ رسولِ الله ﷺ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 12/114.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3478.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 12/114.

أنفسَهم على نفسهِ، فلا ينبغي أن يطلبوا لأنفسِهم الحفظَ والدَّعةَ، والنَّبيُّ ﷺ في الحرِّ والمشقَّةِ[1]، ومعنى الآيةِ: أنَّهم قد "أُمروا بأن يصحبوهُ على البأساءِ والضَّرّاء، وأن يكابِدوا معه الأهوالَ برغبةٍ ونشاطٍ واغتباطٍ، وأن يلقوا أنفسَهم من الشَّدائدِ ما تلقاهُ نفسُهُ، علمًا بأنَّها أعزُّ نفسٍ عندَ اللّه وأكرمُها عليه، فإذا تعرَّضَتْ مع كرامتِها وعزَّتِها للخَوْضِ في شدَّةٍ وهَوْلٍ، وَجَبَ على سائرِ الأنْفُسِ أن تَتَهافتَ فيما تعرَّضت لهُ، ولا يكترثَ لها أصحابُها، ولا يقيموا لها وزنًا، وتكونَ أخفَّ شيءٍ عليهم وأهونَهُ"[2].

علَّةُ تكرارِ النَّفي في قوله: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾:

كرَّرَ النَّظمُ الكريمُ النَّفيَ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾، فلم يقلْ: (ما كان لهم أن يتخلَّفوا، ويرغبوا بأنفسِهم) فالنَّفي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ﴾ "لتأكيد النَّفي بـ (ما)، أي: ما كان لهم أن يتخلَّفوا عن رسولِ اللّه، ولا كان لهم أن يرغَبوا بأنفسِهم، فتكرارُ النَّفي تأكيدٌ له"[3]، وللدَّلالةِ على استقلالِ كلٍّ فعلٍ عن الآخرِ؛ لأنَّ إعادةَ حرفِ النَّفي تجعلُ كلَّ معطوفٍ، كالمستقلِّ بالذِّكرِ.

إعـادةُ النَّـفي إيذانٌ باستقلالِ الفعلِ، وتأكيدِهِ

بلاغةُ الاستعارةِ في قوله: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ﴾:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ "استعارةٌ؛ والمرادُ بها أنَّهم لا ينبغي لهم أن يُكْرِموا أنفسَهم عمّا يبذُلُ النَّبيُّ ﷺ فيه نفْسَه، ولا يحفظوا مُهَجَهم في المواطنِ الَّتي تحضُرُ فيها مُهْجَتُه، اقتداءً به، واتِّباعًا لأثرِه، وهذه لفظةٌ يستعملُها أهلُ اللِّسان كثيرًا، فيقولون: رغِبْتُ بنفسي عن الضَّيم، وأرغبُ بكَ - يا فلانُ - عن القتلِ، أي: أضَنُّ بنفسي عن أن تُذَلَّ، وأَنْفَسُ بمثلكَ عن أن يُقْتَلَ"[4].

المؤمنُ الحقُّ لا يرغَبُ بمُهْجَتِهِ عن رسولِ الله ﷺ

(1) ابن عادل، اللُّباب: 10/236.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/321.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3479.
(4) الشّريف الرضيّ، تلخيص البيان: 2/150.

بلاغةُ التَّضمُّنِ في نفي الرَّغبةِ:

تضمَّنتِ الرَّغْبَةُ عن نفسِ النَّبيِّ ﷺ الضِّنانَةَ

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ﴾ تضمينٌ؛ إذ إنَّ الرَّغبةَ عن نفسِ النَّبيِّ ﷺ تتضمَّن معنى الضِّنانةِ بأنفسِهم عنهُ، ودلالةُ إرداةِ الفِعْلَيْن مُجتمِعَيْن أقوى من دلالةِ فعلٍ واحدٍ، والمعنى: فلا يرغبوا ضَنينينَ شَحيحينَ بأنفسِهم عن نفسِ رسولِ اللّه ﷺ[1].

معنى (الباء) في ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾:

المؤمنُ الحقُّ يصاحِبُ النَّبيَّ على كلِّ حالٍ

جاء فعلُ الرَّغبةِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ متعدِّيًا بالباءِ، ومعنى رَغِبْتُ بنفسي عن هذا الأمرِ، أي: ترفَّعتُ عنه، وتركتُهُ، ورَغِبْتُ بفلانٍ عن هذا الأمرِ، أي: كَرِهْتُهُ له[2]، والمعنى: "ما صحَّ لهم، ولا استقام أن يترفَّعوا بأنفسِهم عن نفسِهِ بأن يكرهوا الشَّدائدَ لأنفسِهم، ولا يكرهوها لهُ، فإنَّهُ مُسْتَهْجَنٌ جدًّا، بل عليهم أن يعكسوا القضيَّةَ"[3]، ففي هذا التَّعبيرِ مبالغةٌ في إيجابِ متابعتِهِ، والباءُ في قوله: ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ "للتَّعديةِ، فقوله: رَغِبْتُ عنهُ، معناهُ: أعرضتُ عنهُ، والمعنى: ولا يجعلوا أنفسَهم راغبةً عن نفسِهِ، وعن نفسهِ: حالٌ، أي: عليهم أن يصحبوهُ على كلِّ حالٍ"[4].

وجهُ التَّعبيرِ بلفظِ النَّفسِ:

نفيُ الرَّغبةِ يشملُ الظَّاهرَ والباطنَ

لفظُ (النَّفس) تدلُّ على الذّات المتشخِّصَةِ، وما تَنْطوي عليه من روحٍ وضمائرَ، وعبَّرَ بها هَهُنا للتَّلويحِ بأنَّ نفيَ الرَّغبةِ عن نفسِ رسولِ اللّه ﷺ يشملُ الأنفسَ ذاتًا ظاهرةً، وباطنةً، فالدَّواخلُ والسَّرائرُ، والضَّمائرُ أصلُ توجيهِ الأفعالِ، وتسييرِ الذَّواتِ.

براعةُ إيثارِ صيغةِ الجمعِ (أفعل):

المؤمنُ لا ترغبُ نفسُهُ عن نفسِ رسولِ الله ﷺ

صيغةُ (أفعل) جمعُ قلَّةٍ، وصيغةُ (فعول) جمعُ كثرةٍ، وإيثار

(1) الشّريف الرّضيّ، تلخيص البيان: 2/150.
(2) الواحديّ، البسيط: 11/88 - 89.
(3) الشّهاب، عناية القاضي: 4/373.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/193.

استعمالِ جمعِ القلَّةِ (أنفسهم) دونَ جمعِ الكثرةِ (نفوسهم) للتَّعبيرِ عن معنى أنَّ أنفسَهم، وإنْ كانت قليلةً، فلا يحقُّ لهم، ولا يُباحُ أنْ يرغبوا بها عن نفسِ رسولِ الله ﷺ، ويُعْرِضوا بها، ويميلوا عنهُ، وفيهِ أيضًا تلميحٌ بأنَّ مَن يفعلُ ذلك من المسلمين هم القلَّةُ.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ ﴿عَن﴾:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ تعدَّى فعلُ الرَّغبةِ بحرفِ الجرِّ (عن) للدَّلالةِ على التَّجاوزِ، فقوله: ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ معناهُ: (متجاوزين نفسَه)[1]، أي: ليس لهم حقٌّ بأن يكرهوا لأنفسِهم شيئًا قد رَضِيَهُ الرَّسولُ ﷺ لنفسِهِ[2] الَّتي هيَ "أشرفُ النُّفوسِ مطلقًا بأن يصونوا نفوسَهم عمّا باشرهُ ﷺ، بل يُلقونها في المتالفِ دونَه وصيانةً لنفسِهِ الشَّريفةِ عن أدنى الأذى"[3].

صَـرْفُ النَّفسِ عن الأذى دونَ النَّبيِّ محرَّمٌ على المسلمِ

دلالةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ: ﴿ذَٰلِكَ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ عن المُسْنَدِ بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةً "إلى ما تضمَّنَهُ انتفاءُ التَّخلُّفِ من وجوبِ الخروجِ معهُ، وبذلِ النَّفسِ دونَهُ، كأنَّهُ قيل: ذلكَ الوجوبُ للخروجِ وبذلِ النَّفسِ؛ هو بسببِ ما أعدَّ اللهُ لهم من الثَّوابِ الجسيمِ على المشاقِّ الَّتي تنالُهم، وما يَتَسَنَّى على أيْديهم من إيذاءِ أعداءِ الإسلامِ"[4].

التَّخلُّفُ بعيدُ الـرُّتـبـةِ في السّوءِ، وتَرْكُهُ إنَّـمـا هـو رتبةٌ عظيمةٌ

وجاء اسمُ الإشارة دالًّا على البُعدِ؛ لتعظيمِ النَّهي عن التَّخلُّفِ الَّذي جاء بأسلوبِ نفي الكَوْنِ الدّالِّ على المبالغةِ[5]، فالتَّخلُّفُ عن النَّبيِّ ﷺ بعيدُ الرُّتبةِ في السّوء.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3479.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/169.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/44.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/523، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/321.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/44.

دلالةُ الباءِ في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ﴾:

نـهـاهـم عـن الـتّـخـلُّـفِ لأنّ في مصاحبتِهِ في الغزوِ أجرًا عظيمًا

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ عبَّر بالباءِ الدّالَّةِ على السَّببيَّةِ تعليلًا لِما سبقَ، فهي "تعليلٌ لِما يجبُ من عدمِ التَّخلُّف"[1]، فلمّا نهاهم عن التَّخلُّف عن النَّبيِّ ﷺ؛ بيَّن علَّةَ ذلك، فكأنَّه قيل: "ذلك الوجوبُ للخروجِ وبذلِ النَّفسِ هو بسببِ ما أعدَّ اللّه لهم من الثَّوابِ الجسيمِ على المشاقِّ التي تَنالُهم، وما يتَسَنَّى على أيْديهم من إيذاءِ أعداءِ الإسلام"[2].

نكتةُ إيثارِ لفظِ الإصابةِ:

الإصابةُ مظنَّةُ الشِّدَّةِ والأذى

خُصَّتِ المصيبةُ في اللُّغةِ بالحادثةِ الَّتي تَعْتَري الإنسانَ، فتغمُّهُ، والنّازلةِ الَّتي تسوؤُهُ، والشِّدَّةِ الَّتي تحزُنُه، ولذلك صاحبتِ السَّيِّئَةَ في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [آل عمران: 120][3]. والظَّمأُ، والنَّصَبُ، والمَخْمَصَةُ مواطنُ شدَّةٍ لا تَخْفى، ومواضعُ أذًى تُستعدى.

دلالةُ إسنادِ الإصابةِ إلى الظَّمأ:

مِنَنُ اللهِ تعالى لا عدَّ يُحصيها، ولا كيْفَ

في قوله عزَّ ذِكرُه: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ بيانٌ لكرَمِهِ تعالى إذ إنَّه يُجازي العبادَ على ما ينالهُم بسببِ العملِ الصّالح، فإنَّه تعالى لا يجزيهم على العملِ الصّالحِ فحسبُ، فما نالهم من العطشِ بسببِ الخروجِ إلى طاعةِ اللّه تعالى فإنَّهُ يُكتب لهم في صحائفهم مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: 195]، وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: 47].

دلالةُ التَّنكيرِ في ﴿ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾:

لا يضيعُ عندَ الجوادِ الكريمِ تعالى مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ

آثرَ النَّظمُ الكريمُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا

(1) ابن جزي، التّسهيل: 1/350.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/523.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/222، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3326.

نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ التَّعبيرَ بصيغةِ التَّنكيرِ في: ﴿ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ للدَّلالةِ على التَّقليلِ وتصغيرِ الشَّأنِ، فإنَّه تعالى يكتبُ لهم أجرَ العطشِ اليسيرِ، وكلَّ تعبٍ مهما كان ضئيلًا[1]، وفي ذلك بيانٌ لسَعةِ رحمتِه؛ إذ إنَّه لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلّا جازى عبادَهُ عليها.

نكتةُ ترتيبِ المذكورات:

رتَّبَ المذكوراتِ حسبَ الوجودِ وكثرةِ الوقوعِ

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ رتَّب النَّظمُ الكريمُ المذكوراتِ على وَفقِ الوجودِ، وكثرةِ الوقوعِ وقلَّتِه؛ فلمّا "كان العطشُ أشقَّ الأشياءِ المُؤْذِيَةِ للمُسافرِ بكثرةِ الحركة وإزعاجِ النَّفسِ، وخصوصًا في شدَّةِ الحرِّ، كغزوةِ تبوكَ بُدِئَ به أوَّلًا، وثنَّى بالنَّصَبِ، وهو التَّعبُ؛ لأنَّه الكَلالُ الَّذي يَلْحَقُ المُسافرَ، والإعياءُ النّاشئُ عن العطشِ والسَّيرِ، وأتى ثالثًا بالجوعِ؛ لأنَّه حالةٌ يمكنُ الصَّبرُ عليها الأوقاتِ العديدةَ، بخلافِ العطشِ والنَّصَبِ المُفْضِيَيْنِ إلى الخلودِ والانقطاعِ عن السَّفرِ، فكانَ الإخبارُ بما يَعْرِضُ للمسافرِ أوَّلًا فثانيًا فثالثًا"[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالقيدِ في قوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

شرطُ قَبولِ الأعمالِ الإخلاصُ فيها

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جعلَ قيدَ تلكَ الأعمالِ الَّتي يُكتبُ لهم أجرُها أنَّها كائنةٌ في سبيلِ اللّه تعالى بيانًا لشرطِ القَبول، وهو أن تكونَ النِّيَّةُ سليمةً بأن يكونَ المرادُ من تلكَ الأعمالِ أن تكونَ للّه وفي سبيلِه وحدَهُ، "وطاعتِه والجهادِ لإعلاءِ كلمتِه"[3].

دلالةُ إضافةِ السَّبيلِ إلى الله تعالى:

خُلوصُ النِّيَّةِ شرطٌ لِقَبولِ العملِ

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/111، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 5/527.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/523.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 12/97.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أضافَ السَّبيلَ إلى لفظِ الجلالةِ تعظيمًا لشأنِ دينِه، والطَّريقِ إليهِ "أي: طرقُ دينِ الملكِ الأعظمِ المُتَوَصِّلَةِ بهِ إلى جهادِ أعدائِه"[1]، وفيهِ إيماءٌ إلى علَّةِ اعتبارِ ذلك الأجرِ لهم، فإنَّ أعمالَهم قد صاحبَها الإخلاصُ للّه، وخَلَتْ من أغراضِ الدُّنيا، وأنَّها كانت لمحْضِ طاعةِ اللّه تعالى وفي سبيلِ إعزازِ دينِه والذَّودِ عنهُ.

بلاغةُ الاستعارةِ في: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

دينُ الله طريقُ النَّجاةِ

والسَّبيلُ: الطَّريقُ، وهو مستعارٌ في الآيةِ لدينِ اللّه تعالى[2] الدِّينِ الحقِّ الثّابتِ الَّذي يكونُ فيه العدلُ، والقسطُ، ولا يكونُ فيه بَغْيٌ ولا فحشاءُ ولا تَعَدٍّ، ولا أذًى، وفيه استجلابُ المصالحِ ودفعُ المفاسدِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿يَطَـُٔونَ﴾ بينَ الحقيقةِ والاستعارةِ:

حقيقةُ الوطءِ الدَّوسُ، ومجازُهُ إذلالُ العدوِّ، والظَّفرُ بهِ

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ تعبيرٌ عن أحدِ الأعمالِ الَّتي ينالون بها الأجرَ الجزيلَ في خروجِهم للغزوِ في سبيلِ اللّه، وهو وطءُ الأرضِ، ويحتملُ أن يُرادَ به الحقيقةُ والمجازُ، فالمعنى الحقيقيُّ هو: "الدَّوسُ بالأرجلِ، والموْطِئُ: مصدرٌ ميميٌّ للوطءِ، والوطءُ في سبيلِ اللّه هو الدَّوسُ بحوافرِ الخيلِ وأخفافِ الإبلِ وأَرْجُلِ الغزاةِ في أرضِ العدوِّ، فإنَّهُ الذي يغيظُ العدوَّ، ويُغضبُهُ؛ لأنَّهُ يَأْنَفُ من وطءِ أرضِه بالجيشِ، ويجوز أن يكون الوطءُ هنا مستعارًا لإذلالِ العدوِّ وغلبتِه وإبادتِه"[3]، وإرادةُ الحقيقةِ هي الأقربُ بقرينةِ أنَّ الوطءَ يُحقِّقُ الغيظَ، والسِّياقُ يريدُ بيانَ أنَّ اللّه تعالى يجازيهم على كلِّ جُهدٍ بذلوهُ مهما كان قليلًا، وهذا يتحقَّقُ بمجرَّدِ تحقيقِ الإغاظةِ بوطءِ أرضِهم، أمّا الإذلالُ والغَلَبَةُ والإبادةُ؛ فهي من الأعمالِ الكبيرةِ الَّتي لا يبقى بعدها غيظٌ؛ إذ قد أُبيدَ الكفّارُ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/44.
(2) عفيف، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/513.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/56.

دلالةُ وصفِ الموطِئِ بأنَّهُ ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ وصفَ النَّظمُ الجليلُ الموطِئَ بأنَّه ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾، فهو قَيْدٌ بالوصفِ، فليس كلُّ وطءٍ لموطِئٍ مُعْتَبَرًا ما لم يحقِّقِ الإغاظةَ، كما أنَّه يدلُّ على أنَّ الموطِئَ لا يُشترط أن يكونَ أرضَ العدوِّ، بل الشَّرطُ أن يحقِّقَ غيظَهم، ويثيرَ مضجَعَهم، وإنَّما أُغيظوا؛ لأنَّ بلوغَ المسلمين ذلك الموطِئَ يدلُّ على توسُّعِ قوَّةِ المسلمين، وهذا يغيظُ أعداءَ الله، فاعتبرَ لهم أجرَ الوطءِ؛ إذا كان يصْحَبُهُ إغاظةٌ للكافرين، فليس كلُّ دَوْسٍ لأرضِ العدوِّ مُعْتَبَرًا ما لم يكن مُغيظًا للكافرين، وإنَّما اعْتَبر الأجرَ لهم في حالة تحقيقِ الغيظِ؛ لأنَّ ذلك دليلٌ على جَدْوى ما قامَ بهِ المسلمون، وأنَّ فعلَهم قد أحدثَ أثرَهُ في تقويةِ الحقِّ ونُصرتِه، بحيثُ قد ظهرت نتائجُهُ في قلوب الكافرين بأن أُغيظوا.

إغاظةُ الكافرينَ ببلوغِ المؤمنين أرضَ ما؛ دليلٌ على قوَّةِ جُهدِهم

دلالةُ تتابعِ الجملِ المنفيَّةِ:

جاءتِ الجملُ الفعليَّةُ المنفيَّةُ في سياقٍ واحدٍ، وهي: في: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ﴾، ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ﴾، ﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾؛ لكونِها مشتركةً بالأحوالِ الَّتي سيقعُ الاستثناءُ منها، فالجمعُ بينها بالعطفِ يحقِّقُ الإيجازَ البليغَ، فلم يقل: (ولا يطئون موطئًا إلّا كُتِبَ لهم بهِ عملٌ صالحٌ، ولا ينالون من عدوٍّ نيلًا إلّا كُتِبَ لهم بهِ عملٌ صالح...) ففي تتابعِها إيجازٌ لكونِها مُشْتَرَكَةً في كونِها من الأحوالِ الَّتي منحَهم الله تعالى عليها الأجرَ.

كلُّ فعلٍ منهم فضيلةٌ على حيالِها

وجيءَ بها على هذهِ الهيئةِ من العطفِ بـ ﴿وَلَا﴾؛ للتَّنبيهِ عَلَى استقلالِ كلِّ واحدٍ منها في سببيَّةِ الثَّوابِ الْمَذْكورِ، وفي كونِها فضيلةً عَلَى حِيالِها، والاعتدادِ بشأنِها[1].

(1) ابن التّمجيد، حاشية على البيضاويّ: 9/364.

دلالةُ تقديمِ المجرورِ في: ﴿مِنْ عَدُوٍّ﴾:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ قدَّم ذكرَ شبهِ الجملةِ ﴿مِنْ عَدُوٍّ﴾ تخصيصًا للنَّيلِ، فهم لا ينالون من كلِّ أحدٍ، بل من الأعداءِ، فليس كلُّ نيلٍ مَوْطِنَ ثناءٍ، فقدَّمَ هذا القيدَ اهتمامًا به تزكيةً لهم، فهم لا ينالونَ من عمومِ النّاسِ، بل منَ الأعداءِ فحسبُ، ففي ذلكَ ثناءٌ عليهم، وتَزْكِيَةٌ لعملِهم من الظُّلم.

المؤمنُ لا يعتدي، وإنَّما ينالُ من عدوِّهِ فحسبُ

دلالةُ التَّعبيرِ بالمصدرِ في: ﴿نَّيْلًا﴾:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ عبَّرَ بالمصدرِ ﴿نَّيْلًا﴾؛ " ليعمَّ القليلَ والكثيرَ ممّا يسوؤُهم قتلًا وأسرًا وغنيمةً وهزيمةً"[1]، ويحتملُ أن يكونَ مفعولًا مطلقًا، وأن يكون مفعولًا بهِ، فهو "يجوزُ أن يكونَ مصدرًا مؤكِّدًا، وأن يكونَ بمعنى المَنيلِ، ويقال: نال منه؛ إذا رَزَأَهُ، ونقصَهُ"[2]، فإذا اعتُبِرَ مفعولًا مطلقًا، فإنَّهُ يدلُّ على تأكيدِ نيلِهم من العدوِّ، والتَّأكيدُ يدلُّ على أنَّ نيلَهم من العدوِّ مؤكَّدُ الوقوعِ، وإذا كان مفعولًا بهِ؛ فإنَّهُ يدلُّ على أنَّ الأجرَ مُعْتَبَرٌ بتحقيقِ أيِّ خسرانٍ في العدوِّ، فالمأخوذُ من العدوِّ وضَعَ اللّه تعالى إزاءَه أجرًا للمؤمنين لِما فيهِ منَ النِّكايةِ بالكفرِ وإزالةِ الباطلِ وإضعافهِ.

تنوُّعُ الإعرابِ سَعةٌ في المعنى توكيدًا، وإجزالًا للأجرِ

بلاغةُ حذفِ المفعولِ بهِ في ﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ إذا جعلَ ﴿نَّيْلًا﴾ مفعولًا مطلقًا؛ فإنَّ المفعولَ به يكونُ محذوفًا، وتقديرهُ: لا ينالونَ شيئًا من عدوٍّ نيلًا[3]، وحُذِفَ المفعولُ بهِ للإيجازِ، اعتمادًا على ظهورِ المعنى، وحيثُما ظهرَ المعنى بلا ذكرٍ، فالإيجازُ أبلغُ من الذِّكرِ، ما لم يكنْ داعٍ يقتضيهِ.

لمّا ظهرَ المعنى حذفَ المفعولَ به للإيجازِ

وحَذْفُ المفعولِ يفيدُ الإعمامَ بانفتاحهِ على معانٍ شتَّى يحتملُها

الحذفُ مَظِنَّةُ الإعمامِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/523.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/321.
(3) الشّهاب، عناية القاضي: 4/375.

النَّيلُ من العدوِّ: نصرًا، وقتلًا، وأسرًا، وغنيمةً، وغير ذلك ممّا يحتملُه الظَّفرُ بالعدوِّ.

دلالةُ ﴿مِنْ﴾:

حصولُ أيِّ وجهٍ للنَّصرِ يُعدُّ نَيلًا

وحرفُ ﴿مِنْ﴾ مستعملٌ في التَّبعيضِ المجازيِّ المتحقِّقِ في الرَّزيَّةِ، ورُزْءُ العدوِّ يكون من ذواتِ الأعداءِ بالأسرِ، والقتلِ، ويكونُ من متاعِهم وأموالِهم بالسَّبي والغُنْمِ[1]، فتبعيضيَّةُ ﴿مِنْ﴾ توحي بأنَّ حصولَ أيٍّ من هذهِ الأشياءِ يُعدُّ نَيْلًا.

سرُّ تنكيرِ العدوِّ:

المؤمنُ الحقُّ لا يَأْبَهُ بأيِّ عدوٍّ

تنكيرُ العدوِّ دليلُ الاستهانةِ بهم، وتحقيرُ أمرِهم، وإعمامُ نوعِهم، ليشملَ أيَّ عدوٍّ مهما بلغَ شَأْوُهُ، وفيه تشريفٌ للمؤمنينَ، وإظهارٌ لبأسِهم، وشدَّتِهم.

بلاغةُ الاستثناءِ:

تَحقُّقُ المشاقِّ مِظَنَّةُ الأجرِ العظيمِ

الاستثناءُ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ "استثناءٌ من عمومِ الأحوالِ، أي: لا تتحقَّقُ هذه الأمورُ من الظَّمأِ، والنَّصَبِ، وغيرِ ذلك في حالٍ من الأحوالِ إلّا حالَ كونِهم مُثابِين بالثَّواب العظيمِ والمأجورين بالأجرِ المُقيمِ"[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿كُتِبَ﴾ مبنيًّا للمفعولِ:

الغايةُ إثباتُ أجرِهم لا كاتِبُهُ

في قوله عزَّ ذِكرُه آثرَ التَّعبيرَ بالفعل المبنيِّ للمفعول؛ لأنَّ الغرضَ بيانُ أنَّ ما عملوهُ قد كُتبَ لهم، فـ"بُني للمفعول؛ لأنَّ القصدَ إثباتُه لا مِن مُعَيَّنٍ"[3]، فالاهتمامُ واقعٌ على بيانِ أنَّ أعمالَهم لا تضيعُ، وليس المرادُ بيانَ مَنْ كَتَبَ لهم ذلك الأجرَ، كما أنَّ فيه إيجازًا بالاستغناءِ بالمذكورِ، وحذْفِ ما هو معلومٌ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/57.
(2) ابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 9/364.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/45.

سرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ الماضي ﴿كُتِبَ﴾ دونَ المضارعِ:

ما كُتِبَ لهم من أجرٍ سيُجْزَوْنَهُ لا محالةَ

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعلِ الماضي دونَ المضارعِ، فلم يقلْ: (إلّا يُكتب لهم) باعتبارِ أنَّ أفعالَهم الَّتي تُكتبُ لهم جاءت بصيغةِ المضارع ﴿يُصِيبُهُمْ﴾، ﴿يَطَـُٔونَ﴾، ﴿يَنَالُونَ﴾؛ لأنَّ الفعلَ الماضي يدلُّ على تحقُّقِ الوقوعِ، وأنَّه فعلٌ قد نُجِزَ، وذلك لتأكيدِ كتابةِ الأجرِ لهم، فكأنَّهُ في حكمِ المكتوب لهم تنفيذًا، وتحقيقًا.

دلالةُ التَّعبيرِ بكتابةِ العملِ الصّالحِ دونَ قبولِهِ في ﴿كُتِبَ لَهُم﴾:

التَّعبيرُ عن قبولِ الأعمالِ بالكتابةِ تأكيدٌ لثُبوتِها

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ عبَّرَ عن احتسابِ الأجرِ لهم بالفعلِ ﴿كُتِبَ﴾ الدّالِّ على الفرضِ والإيجابِ، ولا يجبُ على اللّه تعالى شيءٌ، ولكن لمّا وعدَ ﷻ بمقابلةِ أفعالِ العبادِ بأحسنِ الجزاءِ، وقبولِ الحسناتِ، والمعنى: أنَّه قد ترَتَّبَ لهم على عملِهم أجرٌ جزيلٌ[1]، فأعمالُهم "مقبولةٌ مُسْتَوْجَبَةٌ بحكمِ الوعدِ الكريمِ للثَّوابِ الجميلِ ونَيْلِ الزُّلفى"[2]، فدلَّ الفعلُ ﴿كُتِبَ﴾ على تأكيدِ ثُبوتِ الأجرِ لهم، إيماءً إلى أنَّ اللّه تعالى لا يضيّعُ عملًا مِن أعمالِ عبادِه.

بلاغةُ المجازِ في لفظِ ﴿كُتِبَ﴾:

في الحملِ على المجازِ حثٌّ على الجهادِ على وجهِ المبالغةِ

وحملَ العملَ عَلَى (الثَّواب) بعلاقةِ السَّببيَّةِ؛ لأنَّ المقصودَ من كتابةِ العملِ الْجَزاءُ والإحسانُ، وَأَيْضًا فإنَّ فائدَةَ الخبرِ في هذا الحملِ على المجازِ أظهرُ من إبقائِهِ عَلَى الأصلِ، وفيهِ حثٌّ عَلَى الجهادِ، وتحريضٌ عَلَى وجه المُبالَغَةِ[3].

دلالةُ التَّقديمِ في قوله: ﴿لَهُم﴾:

علَّقَ الكتابةَ بهم تعجيلًا وتشريفًا

قدَّمَ شبهَ الجملةِ ﴿لَهُم﴾: في قوله عزَّ ذِكرُهُ: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/45.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/111.
(3) ابن التّمجيد، حاشية على البيضاويّ: 9/364.

﴿عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ على نائبِ الفاعلِ الَّذي هو أولى بالتَّقديم؛ تعجيلًا بتعليقِ الجزاءِ بهم، ولبيان أنَّ قصدَ الكتابةِ لهم، وهذا تكريمٌ وتشريفٌ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالباءِ في ﴿بِهِۦ﴾:

لن تُنالَ الجنَّةُ بالتَّمني، وإنَّما بالبذلِ

الباءُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ تدلُّ على البَدَلِ والعِوَضِ، أي: عِوَضُ ما فعلوا يُكتَبُ لهم بهِ عملٌ صالحٌ، ويَجري ذلك مجرى الثَّناءِ عليهم؛ إذ التَّصريحُ بذلك يبيِّنُ أنَّ الأجرَ قد نالوهُ بحسنِ عملِهم، وفي ذلك حثٌّ لهم على البذلِ والخروجِ مع النَّبيِّ ﷺ، فالجنَّةُ لن تُنالَ بالتَّمنِّي.

توجيهُ عودِ الضَّميرِ في ﴿بِهِۦ﴾، وعلَّةُ إفرادِهِ:

من رحمتِهِ تعالى وفضلِهِ أنَّه جعلَ لكلِّ عملٍ ذي مشقَّةٍ ثوابًا بقصدٍ أو بغيرِ قصدٍ

وحَّدَ الضَّميرَ في ﴿بِهِۦ﴾ لعودهِ إلَى كلِّ واحدٍ منها عَلَى سبيلِ البَدَلِ، وذلك لتكرُّرِ (لا)، فصارَ كلُّ مفردٍ بالذِّكر مقصودًا بالوعدِ، ولذا قالَ الفقهاء: لو حَلَفَ لا يأكلُ خبزًا ولا لحمًا؛ حَنَثَ بواحدٍ منهما، ولو حَلَفَ لا يأكلُ خبزًا ولحمًا؛ لم يحنثْ إلّا بالجمعِ بَيْنَهُما[1].

فالضَّميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ عائدٌ على ﴿ظَمَأٌ﴾ وما عُطِفَ عليه؛ لأنَّ إعادةَ حرفِ النَّفي جعلتْ كلَّ معطوفٍ، كالمستقلِّ بالذِّكرِ، فأُعيدَ الضَّميرُ على كلِّ واحدٍ على البدلِ، كما يُعادُ الضَّميرُ مفردًا على المتعاطفاتِ بـ (أو)، باعتبارِ أنَّ ذلك المتعدِّدَ لا يكونُ في نفسِ الأمرِ إلّا واحدًا منه، ومعنى: كُتِبَ لهم بهِ عملٌ صالحٌ: أن يُكتبَ لهم بكلِّ شيءٍ من أنواعِ تلك الأعمالِ عملٌ صالحٌ، أي: جعلَ اللّه كلَّ عملٍ من تلكَ الأعمالِ عملًا صالحًا، وإن لم يَقصدْ بهِ عاملوه تقرُّبًا إلى اللّه، فإن تلك الأعمالَ تصدُرُ عن أصحابِها، وهم ذاهلونَ في غالبِ الأزمانِ أو جميعِها عن الغايةِ منها، فليست لهم نيّاتٌ بالتَّقرُّبِ بها إلى اللّه، ولكنّ اللّه تعالى بفضلِهِ جعلَها لهم قرباتٍ باعتبارِ شرفِ

(1) ابن التّمجيد، حاشية على البيضاويّ: 9/364.

الغايةِ منها، وذلك بأن جعلَ لهم عليها ثوابًا، كما جعلَ للأعمالِ المقصودِ بها القربةُ، وكما وَرَدَ أنَّ نومَ الصّائمِ عبادةٌ[1].

دلالةُ تأخيرِ نائبِ الفاعلِ وتنكيرِه في ﴿عَمَلٌ﴾:

حَـرِيٌّ بالمكرَّمين تفخيمُ شأنِهم

في قوله جلَّ شأنُهُ: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ عن العملِ الَّذي يُكتبُ لهم بصيغةِ التَّنكيرِ تفخيمًا لشأنِ المكتوبِ لهم[2]، فإنَّ الحسنةَ بعشرةِ أمثالِها، فهو أجرٌ عظيمٌ، فكانَ التَّعبيرُ عنه بالتَّنكيرِ أدلَّ على فخامتِه وتعظيمِه.

دلالةُ وصفِ نائبِ الفاعلِ بقوله: ﴿صَٰلِحٌ﴾:

العملُ الصّالحُ المرضِيُّ من الله تعالى

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ وصفَ النَّظمُ الكريمُ العملَ الَّذي يقبلهُ اللهُ تعالى من عبادِهِ بأنَّهُ صالحٌ للدِّلالةِ على كونِهِ قد رَضِيَهُ تعالى وقبِلَهُ منهم، فالعملُ الصّالحُ، يعني: أنَّهُ حسنةٌ مقبولةٌ[3].

موقعُ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ممّا قبلَهُ:

عـلَّـةُ الـكـتـابـةِ صدقُ وعدِ الله تعالى

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ تعليلٌ لما سبقَ[4]، فلمّا أخبرَ تعالى أنَّه يُجازيهم على أفعالِهم المذكورةِ، علَّلَ ذلك الجزاءَ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، فعِلَّةُ كتابةِ الأجرِ لهم أنَّ اللهَ تعالى لا يضيعُ عندَهُ أجرُ المحسنينَ.

سرُّ الختمِ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

مَـــن يـقـومُ بـالأعـمـالِ الحسنةِ محسنٌ

ختمَ النَّظمُ الجليلُ الآيةَ بقوله عزَّ ذِكرُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، وهذهِ الجملةُ تذييلٌ تعليليٌّ، يُنَبِّهُ على أنَّ تحمُّلَ المشاقِّ المذكورةِ والأفعالِ السّابقةِ من الإحسانِ[5]، فهذا التَّذييلُ يدلُّ على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/57.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/111.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/111.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/45، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/57.
(5) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/528.

"أنَّهم كانوا بتلك الأعمالِ مُحْسِنين، فدخلوا في عمومِ قضيَّةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بوجهِ الإيجازِ"[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بتقديمِ المُسنَدِ إليهِ على خبرِهِ الفعليِّ:

حـفـظُ الأجـــورِ ثابتٌ للمحسنين لا يـضـيـعُ منـهُ مثقالَ حبَّةٍ من خردلٍ

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قدَّمَ المُسْنَدَ إليهِ؛ لتكونَ الجملةُ اسميَّةً، والعُدولُ من الجملةِ الفعليَّةِ (لا يضيع اللّه أجرَ المحسنين) إلى الجملةِ الاسميَّةِ: ﴿ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه تقويةٌ للمعنى، فإنَّ التَّعبيرَ عن المعنى بالجملةِ الاسميَّةِ يدلُّ على ثُبوتِ المعنى على وجهِ التَّأكيدِ، ولا يَفْقِدُ الدِّلالةَ على الاستمرارِ والتَّجديدِ؛ لأنَّ الخبرَ جاء فعلًا، وعليهِ فإنَّ جعْلَ المُسنَدِ إليهِ مبتدأً يوسِّعُ دلالةَ الجملةِ وفائدتَها، فتتضمَّنُ دلالةَ كلتا الجملتيْن: الثُّبوتَ والتَّأكيدَ، والتَّجدُّدَ والاستمرارَ.

دلالةُ التَّعبيرِ بجملةِ الخبرِ فعلًا مضارعًا منفيًّا:

الأجـرُ ثابتٌ منهُ تعالى مؤكَّدٌ

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالجملةِ الاسميَّةِ، وجاء المُسنَدُ فيها فعلًا مضارعًا منفيًّا؛ وذلك للدَّلالةِ على تأكيدِ ثباتِ الأجرِ واستمرارِه، والنَّفيُ في المضارع يدلُّ على استمرارِ النَّفي، فانتفاءُ ضياعِ الأعمالِ منتفٍ على سبيلِ الثَّبات والتَّجدُّد، فالثَّباتُ مدلولُ الجملةِ الاسميَّةِ، واستمرارُ النَّفي مدلولُ الجملةِ الفعليَّةِ في ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

نوعُ (أل) في ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

لا يـضـيـعُ الله أجرَ كلِّ محسنٍ

معنى ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أنَّهم استوجبوا الثَّوابَ؛ لأنَّهم محسنونَ، وكلُّ محسنٍ لا يضيّعُ اللّه أجرَهُ، وعليه فإنَّ اللّام في المُحْسِنِينَ للجنسِ لا للعهدِ، وإن احتملَ المقامُ إيّاهُ[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/57.

(2) ابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 9/365.

تناسبُ التَّعبيرِ بـ ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

المؤمنُ لا يبذُلُ وُسْعَ جُهدِه ما لم يكن قد بلغَ رُتْبَةَ الإحسانِ

ختمَ النَّظمُ الكريمُ جملةَ التَّذييلِ بصفةِ الإحسانِ تنبيهًا على "أنَّهم حازوا رُتَبَ الإحسانِ الَّتي هي أعلى رُتَبِ المؤمنينَ"[1]، والإحسانُ هنا مناسبٌ لما سبقَ ذكرُه؛ إذ إنَّ المؤمنَ لا يبذلُ مذخورَ مجهودِهِ، ومبلغَ طاقتِهِ ما لم يكن قد بلغَ رتبةَ الإحسانِ، والتَّصريحُ بصفةِ الإحسانِ في الختامِ تنبيهٌ على ذلك، فلمّا "كانَ فاعلُ هذهِ الأشياءِ مقدَّمًا على المعاطِبِ في نفسِه، ومُحَصِّلًا لغَرَضِ الجهادِ؛ أُشيرَ على وجهِ التَّأكيدِ في جملةٍ اسميَّةٍ إلى أنَّه محسنٌ، أمّا في حقِّ نفسِه؛ فبإقامةِ الدَّليلِ بطاعتِهِ على صدقِ إيمانِه، وأمّا في غيرِهِ من المؤمنينَ؛ فبِحمايَتِهم عن طمعِ الكافرين، وأمّا في حقِّ الكفّارِ؛ فبِحملِهم على الإيمانِ بغايةِ الإمكانِ"[2].

براعةُ ترتيبِ الأحداثِ في الآيةِ:

تـدرَّجَ في عرضِ أحـوالِ النَّفسِ وِفاقَ الواقعِ

روعيَ في الآيةِ التَّرتيبُ الواقعُ في الأَحْداثِ، وهو صالحٌ للتَّعميمِ في معظمِ الغزواتِ، فأوَّلُ ما أصابَهم الظَّمأُ بسببِ نفادِ الماءِ، وانعدامِ مصادِرِه في طريقِهم، وبعد ذلك أصابَهم النَّصَبُ، وهو التَّعبُ، فالرِّحلةُ في أرضٍ صحراءَ، وفي حرٍّ شديدٍ، وبعد ذلك انتهتْ أزوادُهم، فنزلَت بِهم المَخْمَصَةُ، وبعد اقترابِهم من تبوكَ وَطِئوا مَوْطِئًا يغيظُ الكفّارَ، وبعد ذلك نالوا من عدوِّهم عند تبوكَ نيلًا فرِحَ بِهِ الغزاةُ الخارجونَ مع الرَّسولِ ﷺ من أهلِ الإيمانِ والصِّدقِ، فجاءَ التَّرتيبُ في الآيةِ على وفقِ التَّرتيبِ في الأحداثِ، ويلاحظُ في التَّرتيبِ تدرُّجُ أحوالِ النَّفسِ، وهذا من مراعاةِ التَّرتيبِ في الواقعِ، وهو من دقَّةِ الأداءِ البيانيِّ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/524.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/45.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرَّغبةُ والإيثارُ:

الإيـثـارُ تفضُّلٌ وتفضيلٌ، أمّا الرَّغبةُ؛ فإرادةٌ وتـوسُّـعٌ في الإرادةِ

أصلُ الرَّغبةِ: طلبُ الشَّيءِ، والرَّغبةُ في الشَّيء: الإرادةُ لهُ، رَغَبْتُ في الشَّيءِ، فإذا لم تردْهُ؛ قلتَ: رَغِبْتُ عنهُ[1]، والرَّغْبَةُ: السَّعةُ في الإرادةِ قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: 90]، فإذا قيل: رَغِبَ فيهِ وإليه؛ يقتضي الحرصَ عليهِ، قال تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩﴾ [التّوبة: 59]، وإذا قيل: رَغِبَ عنهُ؛ اقتضى صرفَ الرَّغبةِ عنهُ والزُّهدَ فيه[2]، أمّا الإيثارُ؛ فهو من: أَثَرِ الشَّيءِ: حصولُ ما يدلُّ على وجودِهِ، والمآثرُ: ما يُروى من مكارمِ الإنسانِ[3]، "ويُستعارُ الأثرُ للفَضلِ، والإيثارُ للتفضُّلِ إثارةً، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: 9]، أي: يُفضِّلون غيرَهُم على أنفسِهم، ومنهُ: له عليَّ أَثَرةٌ، أي فضلٌ، ومنه الحديثُ: «إنَّكم سَتَلقَونَ بعدي أَثَرَةً، فاصبِروا حتَّى تَلقَوني على الحوضِ»[4]، أي: يُستأثَرُ عليكم، فيُفضَّلُ غيرُكم عليكم في الفَيءِ، فالأَثَرةُ: اسمٌ من آثَرَ يُؤْثِرُ إيثارًا، واسْتَأثَرَ فلانٌ بكذا، أي: تفرَّدَ بهِ دونَ غيرِهِ"[5].

وفي الآيةِ الكريمةِ عبَّرَ عن فعلِهم بالرَّغبةِ؛ لأنَّهم أرادوا لأنفسِهم المُكْثَ في المدينةِ تكاسلًا، ولو قالَ: (يستأثرونَ بأنفسِهم عن نفسِهِ)؛ لدلَّ على أنَّهم يفضِّلون أنفسَهم على التَّفرُّد، وهم لم يكونوا كذلك، بل هم توسَّعوا في إرادةِ أنفسِهم، فالرَّغبةُ إرادةٌ، أمّا الإيثارُ؛ فتفضيلٌ، والثَّلاثةُ في الآيةِ إنَّما أرادوا طلبَ الرّاحةِ لأنفسِهم، ولم يكونوا مفضِّلين أنفسَهم على النَّبيِّ ﷺ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رغب).
(2) الرّاغب، المفردات: (رغب).
(3) الرّاغب، المفردات: (أثر).
(4) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (3792).
(5) السّمين، العمدة: (أثر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 18 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-15-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 18 : المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-15-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»